أسلوب الشرط من الناحية التركيبية

د٠حسن محمد حسن مفرق (*)

الملخص:

يفصل هذا البحث في الحديث عن أسلوب الشرط. كشف هذا البحث أن أسلوب الشرط يكون بطرق متعددة؛ فعل الأمر، أدوات الصلة، بعض الظروف المكانية والزمانية وأدوات تفيد معنى الشرط المحض. من الناحية التركيبية يركز البحث على كون أسلوب الشرط عبارة عن تركيبين إسناديين يتم الربط بينهما بواسطة وسيلة من الوسائل السابقة. ركز هذا البحث على الحديث عن الوظيفة التركيبية والدلالية لكل أداة من تلك الأدوات باعتبار الوظيفتين مترابطتين في استعمال هذا النوع من الأساليب.

الكلمات المفتاحية:

مركب الشرط، أدوات الصلة، الأمر، الظروف، التركيب

(*)الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى – قسم اللغة والنحو والصرف – تخصص لغويات

hasan.1398@gmail.com

Research Summary

This research discusses the condition clause. It reveals that the condition clause occurs in multiple ways; such as imperatives, relative pronouns, adverbs, and tools that convey the meaning of the pure condition. From a structural aspect, condition clause is two independent structures that are interrelated by one of the previous means. This research focused on showing the structural and semantic function of each of these tools, given that the two functions are interrelated in the use of this type of structure.

Key Words

condition clause, relative pronouns, imperatives, adverbs, structure

مقدمة

أسلوب الشرط يشمل تركيبين إسناديين أحدهما من الناحية الدلالية شرط للآخر فالعلاقة بينهما علاقة استلزام، حيث يترتب على وقوع أحدهما وقوع الآخر. حين نقول: (إن يعمل خيرا يجز به) و (إذا طلعت الشمس استيقظ العمّال)، نجد تركيبين إسناديين فعليين اصطلح النحاة على تسمية أولهما بفعل الشرط والآخر جوابه. الرابط بينهما أداة لفظية وهي أداة الشرط التي بدونها يصبح التركيبان الإسناديان مستقلين عن بعضهما ولا رابط بينهما. أحيانا قد لا تكون العلاقة بين الحدثين في التركيبين علاقة شرط بحيث يشترط وجود أحدهما لوجود الآخر كقوله تعالى: "إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث"[١] فالكلب يلهث سواءً أحملت عليه أم لا، لذا فليس تحقق الجواب مرهون بوجود الشرط بل هي . في هذه الآية . علاقة أخرى تبين ثبوت حكم الجواب حتى لو اختلفت أحوال الشرط. ليست العلاقة الدلالية بين التركيبين في أسلوب الشرط بالضرورة علاقة الشرطية، بل هناك علاقات أخرى ليس هذا البحث مجال طرحها. المهم لدينا أن يكون هناك أسلوب شرط؛ فيه تركيبان إسناديان مرتبطان بعلاقة ما . في الغالب . من خلال أداة هي التي تقوم بذلك الربط. على هذا فلا يشترط في أسلوب الشرط أن يكون الجواب موقوفا على الشرط ولا أن تكون علاقة الجواب بالشرط علاقة سببية بل يكفي أن تكون بينهما علاقة اقتران أحدهما بالآخر.[٢]

إذا كانت صيغتا فعلي الشرط والجواب متماثلتين فحينها تكفي أداة الشرط للربط بينهما كقولنا: (إن يذاكر الطالب ينجح) أو (إن ذاكر الطالب نجح). أما إن تغيرت الصيغة في جواب الشرط أو زاد عليها أداة كـ (قد، لن، ما أو سوف) فإن أداة الشرط لا تكفي في الربط بل لا بد من رابط آخر وهو الفاء مثل قولنا: (من

---

[١]– الأعراف: ١٧٦

[٢]– المستوفى في النحو، أبو سعد الفرخان، ٢/ ٨٠ . ٨١

يجتهد فإنه سينجح)، (من يتصدق على الفقراء فله أجر عظيم)، (إن ترغب في الارتقاء فلا تحتقر من هو دونك) و (إن تكذب فليس ذلك من شيم العظماء) ... وغيرها من الأمثلة التي ذكرها النحاة تحت باب اقتران جواب الشرط بالفاء.

طبيعة البحث النحوي التقليدي كانت مبنية على نظرية العمل وآثار العمل (الإعراب) لذلك قُسِّمت أدوات الشرط إلى جازمة وغير جازمة. أما في بحثي هذا فأنا لا أعتمد هذا التقسيم لأن قضية الإعراب لا مكان لها في هذا البحث، حيث إنّ مواقع العناصر اللغوية والروابط التي تربط بينها هي الأساس في عمليات التركيب.

طرق أسلوب الشرط

في هذا البحث أرى أدوات الشرط مجرد أدوات ربط تركيبية بين تركيبين إسناديين أحدهما هو تركيب الشرط والآخر هو الجواب. فيما يلي سأتطرق لعدة أنواع يتكوّن من خلالها أسلوب الشرط ثم أفصل في الحديث عن أدوات الشرط وأبين وظائفها الدلالية والتركيبية. هناك ثلاثة أنواع يمكن من خلالها تكوين أسلوب الشرط وهي: فعل الأمر، أدوات الصلة وأدوات الشرط؛ والتي بدورها تنقسم لثلاثة أقسام.

أولا: فعل الأمر

من أمثلة تكوين أسلوب الشرط باستخدام صيغة الأمر قولنا: (أكرم جارك يكرمك، افعل الخير تجد جزاءه.). هنا أسلوب الشرط حدث بدون أداة الشرط لأن صيغة الأمر قامت بالدلالة على معنى الشرط الذي يتطلب جوابا يبين ما يترتب على تحقق تركيب الشرط. إذًا فلدينا في هذا النوع تركيبا شرط؛ أولهما تركيب إسنادي فعلي، فعله فعل أمر، والتركيب الثاني تركيب إسنادي فعلي يعتبر جوابا أو جزاءً لتحقق الشرط الموجود في التركيب الأول. في هذا النوع لا يصح أن يأتي جواب الشرط إلا تركيبا إسناديا فعليا فعله فعل مضارع. يجوز أن يسبق الفعل

المضارع أداة تعليل مثل: (زرني لأكرمك)، (زرني كي أكرمك) و(زرني حتى أكرمك). في مثل قولنا: (زرني إن رغبت) يظهر أن جواب الشرط فعله غير مضارع لكن في الحقيقة أن أسلوب الشرط هنا لم يتحقق بصيغة الأمر بل بأداة الشرط (إن)، إذ هناك تقديم وتأخير في الجملة والتقدير: (إن رغبت زرني.). أي إنّ أسلوب الشرط لا يكون بصيغة الأمر إلا إذا لم يسبق تركيب جواب الشرط بأداة شرط.

ثانيا: أدوات الصلة

أدوات الصلة هي: (من، ما، الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي، اللائي واللواتي). (من وما) هما أداتا صلة في الأصل لأنهما بمعناها خصوصا حين تفتتح بهما الجملة. حين نقول: (من يعمل خيرا يجز به) و (ما تفعلوا من خير تجدوه) فالمراد: (الذي يعمل خيرا يجز به.) و (الذي تفعلون من خير تجدوه.). يتضح فيهما معنى الصلة أكثر لو قدمنا تركيب جواب الشرط فقلنا: (يجزى بالخير من يعمله) و (تجدون ما تفعلون من الخير.). إلا أنّ معنى الشرط لا يظهر فيهما إلا إن افتتحت بهما الجملة.

بما أن (من) و (ما) الموصولتين تأتيان بمعنى الشرط فإن كل أدوات الصلة يصح فيها أن تكوّن أسلوبا شرطيا. من الأمثلة على ذلك قولنا: (الذي يعمل خيرا يجز به.)، (التي تطيع ربها يرضى عنها.)، (اللذان يفعلان الخير يجزيان به.)، (اللتان تفعلان الخير تجزيان به.)، (الذين يفعلون الخير يجزون به.) و (اللائي يذاكرن ينجحن.). الملاحظ في كل الأمثلة السابقة أن أدوات الصلة جاءت بمعنى أدوات الشرط التي تربط بين تركيب فعل الشرط وتركيب الجزاء. ما عدا ذلك فهي أدوات صلة ولا علاقة لها بالشرط كقولنا: (الذي سافر بالأمس أخي.)، فالمراد من هذه الجملة هو الإخبار وليس الشرط.

ثالثا: أدوات الشرط

هذه الأدوات قسّمتها لثلاثة أنواع نظرا لطبيعة استعمالها الأصلية. بعضها . في الأصل . كانت ظروف زمان وبعضها كانت ظروف مكان، بينما البقية فهي أدوات غلب استخدامها . في أصل وضعها . أدوات شرط للربط بين تركيبين إسناديين يترتب وقوع أحدهما على الآخر.

١. أدوات الظرفية الزمانية

هذه الأدوات هي: (إذ، إذما، إذا، مذ، منذ، لما، حين، حينما، عندما، بينما، طالما، مادام، حالما، ريثما، وقت (يوم، ساعة، لحظة)، قبل، بعد، متى، أيان). يمكن تكوين أسلوب الشرط باستخدام هذه الأدوات التي يأتي بعدها تركيبان فعليان؛ يتوقف وقوع أحدهما على الآخر. على هذا فهذه الأدوات تستعمل للشرط حتى لو تأخرت، لكنها أشكلت على النحاة فاعتبروها ألفاظا تلزم الإضافة للجمل ولم يلاحظوه فيها معنى الشرط لو تقدمت. لو تقدمت فإنها تؤدي معنى الشرط يتعلق فيها وقوع أحد التركيبين على وقوع الآخر. لم يلاحظ النحاة كذلك أنها مجرد أدوات تستعمل للربط بين تركيبين إسناديين مفيدة معنى الشرط ومعنى الظرفية الزمانية أيضا.

(إذ) أداة تستعمل للشرط وهي تحمل معنى الظرفية الزمنية. مثال على ذلك قولنا: (إذ لم تذاكروا فستجدون الاختبار صعبا.). يأتي بعدها تركيب فعلي فعله ماضي أو مضارع والجواب يطابقه فيكون فعله فعلا ماضيا أو مضارعا، وقد يأتي أمرا كقولنا: (إذ لم تذاكروا فانتظروا اختبارا صعبا.). لو أخرنا الأداة فاستعمالها سيكون للشرط ويلزم تقدم جوابها كقولنا: (انتظروا اختبارا صعبا إذ لم تذاكروا.).

لا يعني هذا أنها لا تأتي إلا للشرط، بل المراد أن الشرط هو أحد استعمالاتها. بهذا المعنى جاءت . في رأيي . في قوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها."[١] أي: حين قال ربك ... قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها.

من الأدوات التي تفيد معنى الظرفية الزمنية وتأتي للشرط (إذما). لذلك نرى النحاة اختلفوا فيها فمنهم من رأى أنها حرف شرط كسيبويه[٢] ومنهم من يرى ظرفيتها كالمبرد وابن السراج والفارسي.[٣] الأصح في رأيي أنها تفيد المعنيين وتكوّن أسلوب الشرط كبقية الأدوات مثل قولنا: (إذما تأت نستقبلك بالترحيب.). يقول السامرائي: "فالذي نراه أنّ (إذما) أداة شرط وهي ظرف و (ما) خصصتها بالاستقبال بعد أن كانت تستعمل للمضي كثيرا وللاستقبال قليلا."[٤]

(إذا) فيها معنى الشرط ومعنى الظرفية لما يستقبل من الزمان. يليها تركيب الشرط الفعلي وفعله يكون ماضيا مثل: (إذا حضر الماء بطل التيمم) ومضارعا مثل: (إذا تذاكر دروسك تنجح). الفعل في جواب الشرط قد يطابق فعل تركيب الشرط وقد يخالفه فيأتي فعل أمر كقولنا: (إذا حضرت الصلاة فاترك أشغالك). حتى لو تأخرت فلا زال فيها معنى الشرط كما في قولنا: (سأزورك إذا دعوتني.)، إذ التقدير: (إذا دعوتني سأزورك).

من أدوات الظرفية الزمنية التي تستعمل للشرط (مذ ومنذ). يستعملان بنفس المعنى، ولا تستعملان للشرط إلا إن وليهما تركيب فعلي كقولنا: (مذ سافر أخي شعرت بالغربة) و (منذ سافر أخي شعرت بالغربة). يلزم أن يكون فعل

---

[١]– البقرة: ٣٠

[٢]– الكتاب، سيبويه، ٣/ ٥٦ . ٥٧

[٣]– الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن القاسم المرادي، ص ١٩١.

[٤]– معاني النحو، فاضل السامرائي، ٤/ ٤٥٩.

الشرط ماضيا، أما الجواب فقد يكون فعله ماضيا كما في المثالين السابقين أو مضارعا مثل: (مذ سافر أخي أشعر بالغربة). وقد يكون الجواب تركيبا اسميا كقولنا: (منذ سافر أخي وأنا وحيد). حين يقع بعدهما عنصر اسمي فإنهما حينئذ تكونان بمعنى حرف الجر (من) مثل: (ما رأيته مذ يومين أو منذ يومين).

من أدوات الظرفية الزمنية التي تستعمل للشرط (لما). يليها تركيب شرط فعله ماض كقولنا: (لما دعوتني أجبت دعوتك.). أما جوابها فالغالب أن يكون ماضيا كالمثال السابق أو تركيبا اسميا مسبوقا بـ (إذا)

كقوله تعالى: "فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون".[1]حتى لو لم تتصدر الجملة فهي تدل على معنى الشرط كقوله تعالى: "وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا".[2] إذ التقدير: (لما ظلموا أهلكناهم).

(حين، حينما، عندما، وقت، ساعة، لحظة، يوم، متى) تستعمل كذلك للشرط وتدل على نفس معنى الظرفية الزمنية. يأتي بعدها تركيبان فعليان يرتبط حدوث أحدهما بالآخر إذ عند اكتمال الحدث الأول يحدث الثاني مباشرة. يكون الفعل بعدها في التركيبين ماضيا كقولنا: (حين وصلت المطار أقلعت الطائرة)، (حينما وصلت المطار أقلعت الطائرة)، (عندما وصلت المطار أقلعت الطائرة)، (وقت وصلت المطار أقلعت الطائرة)، (ساعة وصلت المطار أقلعت الطائرة)، (لحظة وصلت المطار أقلعت الطائرة)، (يوم وصلت المطار أقلعت الطائرة) و(متى وصلت المطار أقلعت الطائرة). كذلك يكون الفعل بعدها في تركيبي الشرط وجوابه مضارعا مثل: (حين تسافر يفتقدك محبوك) و (حينما تسافر يفتقدك محبوك)، (عندما تسافر يفتقدك محبوك)، (وقت تسافر يفتقدك محبوك)، (ساعة تسافر يفتقدك محبوك)، (لحظة تسافر يفتقدك محبوك)، (يوم تسافر يفتقدك

---

[1]- الزخرف: ٤٧

[2]- الكهف: ٥٩

محبوك) و (متى تسافر يفتقدك محبوك). يظل في هذه الأدوات معنى الشرط حتى وإن تأخرت هي وتركيب الشرط الذي يليها عن الجواب كقولنا: (يفتقدك محبوك حين تسافر) إذ التقدير: (حين تسافر يفتقدك محبوك).

(بينما) تفيد كذلك معنى الشرط والظرفية الزمنية. إلا أن الفرق بينها وبين ما سبقها من أدوات في الفقرة السابقة أن الحدثين بعد (بينما) متزامنين فهي بمعنى (أثناء). أي أثناء حدوث الحدث الأول فالحدث الثاني واقع كقولنا: (بينما كنت أكتب القصة كان أحمد يقرأ الجريدة). يكون الفعل في تركيب الشرط والجواب بعدها ماضيا كالمثال السابق والغالب أن يكون مضارعا كقولنا: (بينما أقرأ الجريدة يستمع أخي للموسيقى). يجوز كذلك أن يليها تركيب اسمي والتركيب الآخر فعلي فعله ماض مثل: (بينما أنا جالس في الحديقة سلّم عليّ رجل غريب). يظل فيها معنى تعليق حدوث حدث على آخر حتى لو تأخرت مثل: (كنت أجلس في الحديقة وحيدا بينما أخي يستمتع مع أصدقائه.)، إذ التقدير: (بينما أخي يستمتع مع أصدقائه كنت أجلس في الحديقة وحيدا.).

من الأدوات أيضا (طالما) وهي بمعنى (بما أنّ). حين نقول: (طالما أنّ الطقس بارد فلا مجال للخروج.)، فالحدث في التركيب الثاني (الخروج)؛ وقوعه مرتبط بالحدث في التركيب الأول (برودة الطقس). أي إنّ وقوع الحدث أو عدمه في التركيب الثاني هو بسبب الحدث في التركيب الأول. في المثال السابق كان التركيبان الإسناديان التاليان للأداة اسميين. يجوز كذلك أن تربط الأداة بين تركيبين فعليين؛ أولهما ماض كقولنا: (طالما فعلت الخير تجد الجزاء وفيرا.) أو مضارع مثل: (طالما تفعل الخير تجد الجزاء وفيرا.)، لكنّ الجواب لا يكون ماضيا بل مضارعا كما رأينا في المثالين السابقين أو أمر كقولنا: (طالما تفعل الخير فاحتسب الأجر عند الله).

هناك أداة أخرى تستعمل للشرط في العربية المعاصرة وهي (حالما). تدل هذه الأداة أن الحدث في جواب الشرط يقع في الوقت الذي يحدث فيه حدث فعل الشرط. هذه الأداة تربط بين تركيبين إسناديين فعليين فعلهما ماض مثل: (حالما حضر المعلم سكت الطلاب)، أو مضارع مثل: (حالما يحضر المعلم يسكت الطلاب). أحيانا يكون فعل الجواب فعل أمر مثل: (حالما ترى فقيرا تصدق عليه). هذه الأداة لم تكن مستعملة عند العرب القدامى.

(ما دام) أداة تدل على الدوام والاستمرار وفيها معنى الشرط. تربط بين تركيبين إسناديين اسميين كقولنا: (ما دام الصدق خلقك فالنجاة مصيرك). إن اشتمل التركيب الإسنادي على فعل فالتركيب الآخر يلزم أن يكون فعليا مثل: (ما دام يعمل محمد الخير فسيجد جزاءه). الغالب كما نلاحظ في المثال أنه يسبق المضارع سين الاستقبال المسبوقة بالفاء.

(ريثما) أداة تستعمل كذلك للشرط وتفيد معنى الظرفية الزمنية. حين أقول: (ريثما ينهي أحمد أعماله ينتظره ابنه.)، والمعنى أنه طوال وقت عمل أحمد كان ابنه ينتظر. نلاحظ الفعلين في التركيب الإسنادي الأول والثاني مضارعين، ويجوز أن يكون فعل التركيب الثاني فعل أمر مثل: (ريثما أنهي أعمالي انتظرني). كذلك يجوز أن يكون فعل التركيبين ماضيا مثل: (ريثما أنهيت أعمالي انتظرني ابني.).

كل هذه الأدوات نلاحظ فيها وظيفة الربط بين تركيبين إسناديين؛ أحدهما مرتبط وقوعه بوقوع الآخر. لو تقدمت كما رأينا فلها وظيفة الربط كأدوات شرط، وكذلك لو تأخرت. النظر إليها من حيث الوظيفة التركيبية يجعلنا نرى دورها في الربط بين تركيبين إسناديين مع الدلالة الزمنية على معنى خاص يميز كل أداة عن الأخرى دلاليا وإن اشتركت في الوظيفة التركيبية.

٢. أدوات الظرفية المكانية

أدوات الظرفية المكانية التي تستعمل للشرط هي: (أنّى، حيث، حيثما، أين، أينما). هذه الأدوات اعتبرها النحاة ظروفا للمكان إن تأخرت، بينما إن تصدّرت الجملة فهي حينئذٍ تستعمل للشرط. الأرجح ـ في رأيي ـ أنها أدوات شرط تحمل معنى الظرفية سواءً أتقدمت أو تأخرت. لو قلنا مثلا: (أقابلك حيث تكون) فالمراد: (حيث تكون أقابلك)، فلا زالت هي الرابطة بيت تركيبين إسناديين ينبني حدوث أحدهما على الآخر.

جميع هذه الأدوات هي بمعنى: (في أي موضع). على هذا فالمعنى في المثال السابق هو: (في أي موضع تكون أقابلك).

جميع هذه الأدوات تربط بين تركيبين فعليين؛ فعليهما متطابقين من حيث المضي والمضارعة أو مختلفين. مثال ما كان فعلاهما ماض قولنا: (أنّى ذهبتَ ذهبتُ)، (حيث ذهبتَ ذهبتُ)، (حيثما ذهبتَ ذهبتُ)، (أين ذهبتَ ذهبتُ) و(أينما ذهبتَ ذهبتُ). قد يكون فعلا التركيبين مضارعين مثل: (أنّى تسافر أسافر)، (حيث تسافر أسافر)، (حيثما تسافر أسافر)، (أين تسافر أسافر) و(أينما تسافر أسافر). يجوز كذلك أن يكون فعل تركيب الشرط ماضيا وفعل الجواب مضارعا مثل: (أنّى فعلتَ الخير تجد محبة الناس)، (حيث فعلتَ الخير تجد محبة الناس)، (حيثما فعلتَ الخير تجد محبة الناس)، (أين فعلتَ الخير تجد محبة الناس) و(أينما فعلتَ الخير تجد محبة الناس). يمكن كذلك أن يكون فعل تركيب الجواب فعل أمر سواءً أكان فعل تركيب الشرط ماضيا أم مضارعا مثل: (أنّى تجد/ وجدت الصعاب تذكر قدرة الله)، (حيث تجد/ وجدت الصعاب تذكر قدرة الله)، (حيثما تجد/ وجدت الصعاب تذكر قدرة الله)، (أين تجد/ وجدت الصعاب تذكر قدرة الله) و(أينما تجد/ وجدت الصعاب تذكر قدرة الله).

٣. أدوات الشرط المحض

أدوات الشرط المحض هي: (إن، مهما، كلما، كيف، كيفما، مثلما، كما، أي، أيما، لو، لولا، لوما). لا يعني هذا أنه ليس فيها إلا معنى الشرط، بل المراد أنه المعنى الأبرز، ومع ذلك فهناك معاني دقيقة تستفاد من هذه أدوات غير معنى الشرط. ذكر بعض النحاة أنّ (أمّا) تستعمل شرطية بدليل اقتران جوابها بالفاء ولكنّي أرجح أنّها أداة تفصيل وليست أداة شرط لأنّ أداة الشرط تربط بين تركيبين إسناديين. بالنسبة لـ (أمّا) فإنه يليها اسم أو ما يقوم مقام الاسم، ثم يخبر عنه بتركيب إسنادي يغلب أن تسبقه الفاء كخصيصة من خصائص استعمال هذه الأداة. حين نقول: (أمّا الحقيقة فلا يعلمها إلا الله) فالمراد: (الحقيقة لا يعلمها إلا الله).

أكثر أدوات الشرط استخداما هي (إنْ). تفيد معنى الشرط المحض أي إنه يجب أن يتحقق وجود تركيب الشرط حتى يحدث الجزاء وهو تركيب جواب الشرط. مثال على ذلك قولنا: (إن تحافظ على سيارتك تجدها سليمة.). ومنه قوله تعالى: (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)[١]. قد يكون تركيبا الشرط والجزاء تركيبين إسناديين فعليين كما سبق. وقد يكون تركيب جواب الشرط تركيبا إسناديا اسميا مثل: (إن تتصدق على المسكين فأنت محسن). حينها ينبغي أن يسبق تركيب جواب الشرط بالفاء.

من أدوات الشرط (مهما). اختلف فيها النحاة فرأى بعضهم أنها تدل على ما لا يعقل غير الزمان مع تضمنها معنى الشرط، ويرى فريق آخر بأنها تدل على معنى الزمان والشرط معا فتكون ظرفا لفعل الشرط، بينما يرى آخرون أنها للاستفهام.[٢] هناك رأي ينسب للخليل يقول بأن أصل (مهما) هو (ما) التي

---

[١]- البقرة: ٨٤

[٢]- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ١/ ٣٦٣

يضاف إليها (ما) التي تلحق بعض أدوات الشرط، وقلبت ألف (ما) الأولى إلى (هاء) لقربها من مخرجها، وهو رأي أيده الرماني.[١] الذي أرجحه أنها أداة شرط بمعنى (أي) كقولنا: (مهما تفعل فلا زلت صديقي.)، والتقدير (أي شيء تفعله فلا زلت صديقي.). كأن هذه الأداة تدل على أن الجواب سيتحقق رغم وجود شرط كان ينبغي أن يحول دون تحقق الجواب. من المعلوم أن الصداقة قد تنتهي باقتراف بعض الأخطاء من قِبَل الصديق لكن المتحدث في المثال السابق يخبر أن الصداقة ستستمر حتى لو اقترف الصديق ما قد ينهي الصداقة في علاقات أخرى بين أشخاص آخرين. بهذا المعنى يفسّر قول زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

المراد: أي خُلُق يحاول الإنسان إخفاءه فسيظهر ويعلم. الأصل أنه يمكن إخفاء ما نريد إخفاءه فلا يعلم للناس لكن الخُلُق لا يمكن إخفاؤه بل سيعلم ولو بعد حين. إذًا فـ (مهما) ليست اسما ولا ظرفا للزمان ولا اسم استفهام كما قيل، بل هي أداة للشرط لها نفس المعنى الدلالي الذي تدل عليه (أي).

هي أداة شرط وليست اسما حتى نبحث لها عن موقع إعرابي، كما فعل النحاة. نظر النحاة لها على أنها اسم يقع في مواقع الاسم الإعرابية، فهي تارة مبتدأ كما في قوله تعالى: "مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين"[٢]، وحينا تكون في موقع المفعول به المقدم في مثل قولنا: (مهما تفعل يعلمه الله.) إلى غير ذلك من المواقع التي ذكروها. الذي أراه أنها مجرد أداة ربط وليست اسما حتى تقع موقع الأسماء. أداة قد يفهم المحذوف من معناها الدلالي، وهذا المحذوف هو صاحب الموقع الإعرابي وليست الأداة. لعلّ هذا هو ما دعا

---

[١]- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، ص ٣٠٠

[٢]- الأعراف: ١٣٢

السهيلي إلى أن يرى حرفيتها في بيت زهير السابق.[١] أما في قولنا: (مهما تفعل يعلمه الله.) فليست (مهما) اسما في موضع المفعول به المقدم بل أداة يفهم المفعول به من خلال معناها الذي تدل عليه. أي إننا نستطيع إدراك مفعول به مقدر يفهم من السياق وتدل عليه (مهما) فيكون التقدير: (مهما تفعل شيئا ...، أو مهما تفعل من شيء...).

من أدوات الشرط (كلما) التي تفيد معنى التكرار. مثال على ذلك قولنا: (كلما اجتهدت كافأتك.) فالأداة تفيد تكرر حدوث الجزاء (المكافأة) إن تكرر حدوث الشرط (الاجتهاد). منه قوله تعالى: "كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا"[٢]، فقد تكرر حصول الرزق مع تكرار دخول زكريا على مريم. إذًا ليست (كلما) مكوّنة من (كل) + (ما) المصدرية الظرفية ولا هي بمجموعها ظرف زمان[٣]، بل هي أداة من أدوات الشرط تقوم بما تقوم به أدوات الشرط من الربط بين تركيبين إسناديين، وتفيد معنى التكرار الذي أشرت إليه في الأمثلة السابقة.

هناك أداتان بمعنى الحال تستعملان للشرط وهما (كيف وكيفما). يربطان بين تركيبين إسناديين؛ فعليهما متوافقان في مادة اشتقاقهما غالبا. قد يكون الفعلان ماضيين مثل: (كيف فعلتَ فعلتُ) و(كيفما فعلتَ فعلتُ) أو مضارعين مثل: (كيف تتكلم أتكلم) و(كيفما تتكلم أتكلم). قد يكون فعل تركيب الشرط ماضيا وفعل تركيب الجواب مضارعا مثل: (كيف تصرّفتَ أتصرف) و(كيفما تصرفتَ أتصرف).

(مثلما وكما) أداتان تستخدم للشرط وفيها معنى الشبه والنظير. حين نقول: (مثلما تفعل أفعل) فالحدث في فعل تركيب جواب الشرط سيكون شبيها للحدث في فعل

---

[١]- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ١/ ٣٦٣

[٢]- آل عمران: ٣٧

[٣]- معجم العربية المعاصر، أحمد مختار عمر وآخرون، ١/ ١٩٥٣

تركيب الشرط، أي: (فعلي سيكون مثل فعلك). هاتان الأداتان تدخلان مثل بقية أدوات الشرط على تركيبين إسناديين وتربط بينهما بمعنى الشرط الذي تحويه وهو تعليق حدوث الجواب على حدوث الشرط. فعلا تركيبي الشرط والجواب يكونان ماضيين مثل: (مثلما سافر أحمد عدة بلدان سافر أخوه) و(كما سافر أحمد عدة بلدان سافر أخوه) ومضارعين مثل: (كما تحسن لأبويك يحسن أبناؤك لك). قد يكون الفعلان مختلفين، فيكون فعل تركيب الشرط ماضيا وفعل الجواب مضارعا مثل: (مثلما تصرّفت يتصرف أبناؤك).

(أي وأيّما) أداتا شرط يلزم أن يليهما اسم مفرد. مالم تكن (أي) منوّنة فهي تحتاج لاسم يليها مضاف إليها كقولنا: (أي طالب يجتهد ينجح)، أما إن كانت منوّنة فهي تستغني عن المضاف إليه مثل: (أيًّا يجتهد ينجح). بالنسبة لـ (أيما) فإنه لا تستغني عن الاسم الذي يليها مثل: (أيما رجل يفعل الخير يجد جزاءه). تربط هاتان الأداتان بين تركيبين إسناديين فعليين فعلهما مضارع كما في الأمثلة السابقة. قد يكون فعلا التركيبين ماضيين مثل: (أي رجل سعى في الحياة وجد نصيبه منها) و(أيما رجل سعى في الحياة وجد نصيبه منها). الملاحظ أن تحقّق الجواب مرتبط بوجود الشرط وهما متعلقان بالمتحدث عنه وهو الظاهر الذي يلي (أي وأيما) أو المقدر الذي يلي (أيّ) المنونة.

من أدوات الشرط المحض (لو). هذه الأداة تعبر عن احتمالية لم تحدث، وتفيد امتناع الحدث في تركيب الجواب لامتناع الحدث في تركيب فعل الشرط. مثال على ذلك قولنا: (لو توقفت عن السعي في الأرض حُرِمت الرزق)، فالحرمان من الرزق لم يحدث لأن التوقف عن السعي لم يحدث. تربط بين تركيبين إسناديين فعليين؛ فعلاهما ماضيان كما رأينا في المثال السابق، كما أن فعلي التركيبين قد يكونا مضارعين مثل: (لو تترك صحبة السوء يصلح حالك). يصح أن يكون

تركيب فعل الشرط اسميا بشرط أن تسبقه (أنّ) مثل: (لو أنّ محمدا أطاع أباه أحبه).

من أدوات الشرط (لولا ولوما) وهما حرف امتناع لوجود. مثال على ذلك قولنا: (لولا أحمد صحبك لدعوتك) و(لوما أحمد صحبك لدعوتك)، والمعنى أنه امتنعت دعوتي لك لوجود مصاحبة أحمد لك. الغالب في هاتين الأداتين أن يليهما اسم مثل: (لولا محمد لأتيتك، لوما محمد لأتيتك) ولكن الأرجح أنه وليهما تركيب إسنادي اسمي حُذِف أحد أركانه والتقدير: (لولا محمد موجود أتيتك) و (لوما محمد موجود أتيتك). يليهما إذًا التركيب الإسنادي الاسمي الذي هو تركيب الشرط وجواب الشرط يكون تركيبا إسناديا فعليا فعله ماض لأن حدث تركيب الشرط حدث في الماضي، وكذلك ردّة الفعل المحتملة في الجواب. أما من الناحية الدلالية فذكر صاحب رصف المباني أنّ (لوما) لم تستعمل عند العرب إلا للتحضيض.[1]

[1]. رصف المباني في حروف المعاني، أحمد عبدالنور المالقي، ص ٣٦٥

الخاتمة

عرفنا في هذا البحث أن أسلوب الشرط هو نمط تركيبي خاص يتم الربط فيه بين تركيبين إسناديين بواسطة إحدى وسائل الربط. وسائل الربط هي فعل الأمر، أدوات الصلة، بعض الظروف المكانية والزمانية، بالإضافة إلى أدوات محضة في الدلالة على الشرط. يعالج البحث هذا الأسلوب من الناحيتين الدلالية والتركيبية بعيدا عن الاهتمام بإعراب أدوات الشرط باعتبارها أسماء أو حروف. في هذا البحث رأينا أنها مجرد أدوات تقوم بدورين متكاملين؛ أحدهما دلالي داخل تركيب أسلوب الشرط بالإضافة لدورها التركيبي في الربط بين ما يسمى فعل الشرط وجوابه.

المصادر والمراجع

١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، (2005) صيدا . بيروت.

٢. معاني النحو، فاضل السامرائي. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، (1990).

٣. الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت.

٤. معجم العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، ط٣، (2008).

٥. المستوفى في النحو، أبو سعد الفرخان، ، تحقيق: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة، (1987).

٦. رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي، دار القلم، دمشق، ط٣، (2002).

٧. الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت . لبنان، دار الفكر، دمشق . سورية، ط٣، (1995).

٨. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن القاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان،ط١، (1992).